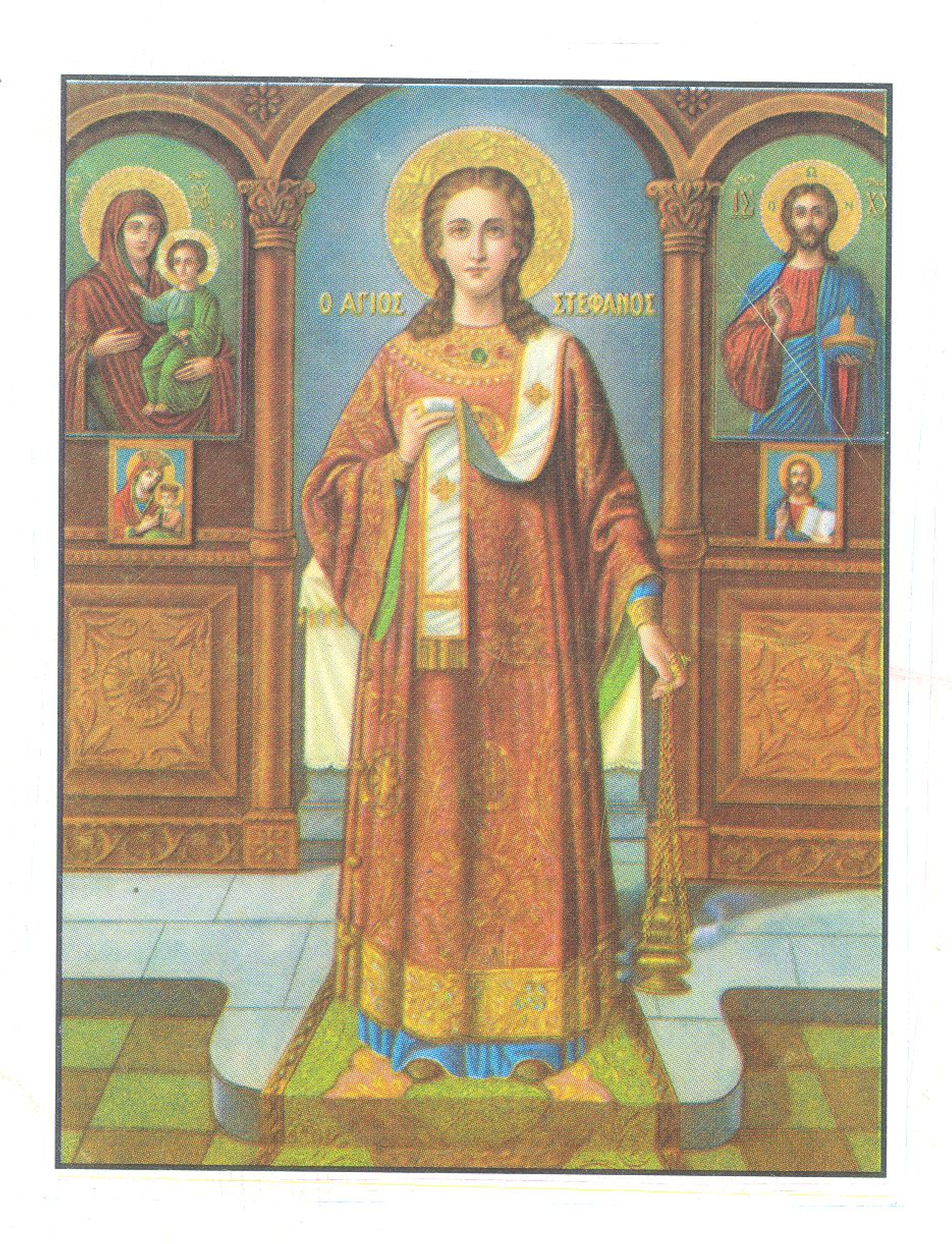
محاضرات في علم الباترولوجي
مدرسة الإسكندرية

الاستشهاد

عند

العلامة أوريجينوس



القمص
تادرس يعقوب ملطى

محاضرات في علم الباترولوجي
مدرسة الإسكندرية

الكتاب الثاني -١٨

الاستشهاد

عند

العلامة أوريجينوس

١٩٩٦

القمص تادرس يعقوب ملطي
كنيسة الشهيد مار جرجس باسبورتنج

تعريب
دكتور جورج بطرس
لوس أنجيلوس - كاليفورنيا



صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم
الأنبا شنوده الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

أرجو عند دراسة أفكار أوريجينوس ولاهوتياته

الرجوع إلى الكتاب الثاني – ٤ من هذه السلسلة

"أوريجينوس والأوريجانية"

لتمييز الأفكار السليمة من المنحرفة

الفصل الثامن عشر

الاستشهاد

تركزت أفكار أوريجينوس طوال حياته على الاستشهاد. يراه البعض شهيدًا حسب سلالته، فقد اشتاق في شبابه أن يستشهد مع والده ليونيدس *Leonides*. وجاء تمجيده للاستشهاد يكشف عن أن الاستشهاد هو عصب تدريبه على الحياة المسيحية، كما كان حجر الزاوية في تعليمه.

عندما تولى قيادة مدرسة الإسكندرية كان أوريجينوس بشجاعة يسند الكثير من تلاميذه الذين استشهدوا، ووقف بجانبهم في اللحظات الأخيرة[1]. حسب نفسه أنه قد دُعي لمهمة إعداد المسيحيين للاستشهاد. لم يكن يُعد قلوب المؤمنين فحسب، بل امتد إلى إعداد قلوب الموعوظين لمواجهة الاستشهاد بفرحٍ. كان ينفث فيهم من روحه، وكان يفتقدهم في سجونهم، ويقوم بالدفاع عنهم، كما كان يمنحهم القبلة الأخوية في قاعات المحاكم علانية.

كان كل من يلجأ إليه طلبًا في إرشاده بخصوص الإيمان يتعرض للعقوبة قانونيًا. يشترك في نفس العقوبة تلاميذه الأكثر تقدمًا، هؤلاء الذين نالوا العماد وتحدوا المنشور الإمبراطوري الذي يحرمه. حقًا لم يكن المسيحي بالمولد، الذي يعيش حسب إيمانه، في نظر القانون، مساويًا في الجُرم كمن كان يحرض الآخرين على الاهتداء؛ ولعل أوريجينوس كان مدينًا بسلامته إلى تسامح السلطات المحلية في الإسكندرية[2]. ربما لم ينطبق عليه مرسوم ساويرس *Severus* الموجه ضد المهتدين، طالما تجنب المجاهرة بالتحدي[3].

لما تقدم أوريجينوس في العمر قام بتسجيل مشاعره بخصوص الاضطهاد الذي اجتاح الإسكندرية قبل أربعين عامًا. ففي "**عظاته على إرميا** *Homilies on*

Jeremiah وصف كنيسة الإسكندرية المضطهدة المجيدة، قائلاً:

✞ حدث ذلك عندما كان (الإنسان المسيحي) مؤمنًا حقيقيًا، يذهب بشجاعة إلى الكنيسة لكي يستشهد.

كنا في العادة نعود من المقابر، حيث كنا في صحبة أجساد القديسين، إلى اجتماعاتنا التي تُعقد في الكنيسة الصامدة.

كان الموعوظون يستمعون إلى العظات في جوٍ مفعمٍ بالاستشهاد. لقد غلبوا الألم، واعترفوا بالله الحيّ بلا خوف.

رأينا بالحق أعمالاً عجيبة بطولية.

كان المؤمنون قلة في العدد، لكنهم مؤمنون بالحق؛ أحرزوا تقدمًا في الطريق المستقيم الضيق المؤدي إلى الحياة[4].

حث على الاستشهاد[5] *Exhortatio ad Martyrium*

أثناء اضطهاد مكسيميانوس[6] *Maximimus* كتب أوريجينوس: "**الحث على الاستشهاد**". يحمل هذا العمل ذات الرسالة التي حملها خطابه الذي وجهه إلى والده حين كان صبيًا، مع إسهاب يتفق مع نضوجه. كتبه في قيصرية فلسطين عام ٢٣٥م، ووجهه إلى أمبروسيوس وبرتوكوتيوس *Protocotius* كاهن قيصرية، اللذين أُلقيا في السجن. لقد أعلن عن الاستشهاد بكونه شهوته العذبة التي تطلبها نفسه.

يقف أوريجينوس بجانب القديس أغناطيوس الأنطاكي في اشتهائه الاستشهاد. كما يقف مع القديس اكليمنضس السكندري الذي علّم أن الاستشهاد هو كمال المحبة. كان يعتبر الاستشهاد أحد البراهين على صدق المسيحية، ليس لمجرد إظهاره قدرة المسيحيين على الموت في سبيل إيمانهم، إذ يوجد غيرهم يموتون أيضًا في سبيل بلادهم ومبادئهم، وإنما لأن احتقار الموت لدى الشهداء المسيحيين يدل على أنهم حطموا قوى الشر التي كانت تستخدم الموت كأداتها للتعذيب (١ كو ١٥:٥٥). جلب الاستشهاد القيامة، بطريقة ما، إلى الحاضر كحقيقة حية، بظهور أعمال الشهداء العجيبة، خاصة ارتفاعهم فوق الألم، كنوعٍ من تذوق خبرة القيامة مقدمًا. هكذا كان

الاستشهاد امتدادًا لعمل الخلاص (الحياة المجيدة).

بجانب ما لهذا المقال من قيمة تاريخية عظيمة، كمصدر من الطراز الأول عن اضطهاد مكسيميانوس، فإنه يُعتبر وثيقة هامة تبرز اقتناع أوريجينوس بالاستشهاد وشجاعته وإيمانه وإخلاصه الديني. كما تكشف عن رجاء المسيحيين المصريين في النصف الأول من القرن الثالث ومخاوفهم[٧].

يظهر هذا المقال أن أوريجينوس لم تفقده الأيام شيئًا من حماسه، لكن ليس بلا هدف أورد في الفصلين ٤٥، ٤٦ أن شهوة الاستشهاد لم يشترك فيها الجميع. فالبعض كان يعتبر تقديم قربان للشياطين والابتهال إلى اللّه تحت اسم آخر أمرين ليسا بذات قيمة، والبعض يظن أنه لا بأس من مسايرة السلطات الوثنية في رغباتها، إذ يكفي أن يكون الإنسان "مؤمنًا في قلبه". لقد وجه أوريجينوس هذا المقال إلى تلك الدوائر بالذات ليصحح مفاهيمهم.

محتويات المقال

يمكن تقسيم هذا المقال إلى خمسة أجزاء:

١. حث على الاستشهاد:

إنه عمل صغير الحجم، لكنه ذو فاعلية عظيمة، ويعطي ثقة ضخمة. كان أوريجينوس كمن يقف عند منحنى أمبروسيوس *Ambrosius*، قائلاً: "لقد حان الوقت. ألقِ بكل أفكارٍ أخرى، فقد صارت الحاجة ملحة إلى الاستشهاد". كان يحسب الاستشهاد أقدس مهام الإنسان المسيحي، به يُظهر المسيحي شوقه للاتحاد مع اللّه بكل نفسه his soul. فمن الأفضل للإنسان أن يموت بارًا، يرحل من هذه الحياة بهدف واحد هو الدخول إلى ملكوت السموات. وكل ما عدا هذا من الأهداف لا معنى له إن قورن به. كان يؤمن أن الشهداء ينالون تطويبًا خاصًا كامل العظمة أكثر من كل القديسين. إنهم مختارو اللّه، يجلسون بجواره على عرش الحكم، وأن لدمائهم القوة لتحقيق مغفرة الخطايا للغير. المقال كله ينفث بالثقة الهادئة في فاعلية الشهيد العظمى[٨].

يتساءل أوريجينوس: أي فرحٍ أعظم من فرح الاستشهاد؟ حيث تجتمع جماهير كثيرة لمشاهدة الساعات الأخيرة للشهيد. ليتذكر كل واحدٍ منا كم من مرات تعرضنا فيها لخطر الموت العادي، عندئذ نسأل أنفسنا عما إذا كنا قد حُفظنا لما هو أفضل؛ حُفظنا لمعمودية الدم التي تغسل خطايانا، وتسمح لنا أن نحتل مكاننا في المذبح السماوي مع رفاقنا في الجهاد الروحي[٩].

ليكن لكم الإيمان، وليكن لكم الشجاعة، وبالأكثر لتعدوا أنفسكم لنوال طوباوية الاستشهاد. "**إننا ابناء اللّه الصبور واخوة المسيح الصبور؛ لنظهر إذن أنفسنا صبورين في كل ما يحل بنا**[١٠]". وأفضل ما يحل بنا هو أن يكون لنا موت الشهيد[١١].

- الثبات والصمود في المحن، لأنه بعد ألمٍ لفترة قصيرة ننال مكافأتنا الأبدية (ف ١-٢).
- الاستشهاد هو واجب على كل مسيحي حقيقي، لأن كل من يحب اللّه يرغب في الاتحاد معه (ف ٣-٤).
- لا يستطيع الدخول إلى السعادة الأبدية إلا الذين يعترفون بالإيمان بشجاعة (ف ٥).

ب. تحذير من الارتداد وعبادة الأوثان:

- إنكار الإله الحق وعبادة الآلهة الزائفة، هي أكبر الخطايا (ف ٦)، فمن الحماقة عبادة المخلوق دون الخالق (ف ٧). اللّه يعتزم إنقاذ الأنفس من عبادة الأوثان (ف ٨-٩).
- الذين يقترفون هذه الخطية، يدخلون في اتحاد مع الأوثان، وسوف ينالون عقابهم الشديد بعد الموت (ف ١٠).

جـ. حمل الصليب مع المسيح بمثابرة:

- الحث الحقيقي على الاستشهاد (ف ١١).
- لن ينال الخلاص إلا من يحمل صليبه مع المسيح (ف ١٢-١٣).
- ستكون الجعالة أعظم إن قورنت بالمقتنيات الأرضية المتروكة خلفنا (ف

١٤-١٦).

- لقد جحدنا المعبودات الوثنية، إذ دخلنا في صفوف المعترفين، فلا يُسمح لنا بكسر عهودنا (ف ١٧).
- يُحكم على سلوك الشهداء من العالم بأسره (ف ١٨).
- علينا أن نقبل كل أنواع الاستشهاد، حتى لا نُحصى مع الملائكة الساقطين (ف ١٩-٢٠).

د. نماذج كتابية عن المثابرة والتحمل:

- العازر (ف ٢٢) والأبناء السبعة للأم البطلة، يقدم قصتهم سفر المكابيين الثاني (ف ٢٣-٢٧).

هـ. ضرورة الاستشهاد وجوهره وأنواعه:

- يليق بالمسيحيين أن يتحملوا هذا الموت، حتى يردوا للّه كل النعم التي أسبغها عليهم (ف ٢٨-٢٩).
- الخطايا الخطيرة التي تُقترف بعد معمودية الماء، لا تغفرها إلا معمودية الدم (ف ٣٠).
- أنفس أولئك الذين يصمدون أمام غوايات الشرير (ف ٣٢)، ويبذلون حياتهم للرب قرباناً نقيًا، لا تدخل إلى النعيم الأبدي فحسب (ف ٣١)، بل ويُوهب لها مغفرة خطايا من يُصلّون من أجلهم (ف ٣٠).
- كما امتدت يد اللّه لمساعدة الفتية الثلاثة في أتون النار، ودانيال في جب الأسود، هكذا لن يُحرم الشهداء من مساندته (ف ٣٣).
- ليس اللّه الآب وحده، يطلب هذه الذبيحة، بل والمسيح أيضًا يطلبها. إن أنكرناه، فسينكرنا في السماء (ف ٣٤-٣٥).
- إنه يقود المعترفين بالإيمان إلى الفردوس (ف ٣٦)، إذ لن يرث ملكوت السموات سوى من يبغض هنا العالم (ف ٣٧، ٣٩).
- سيغمر ببركاته ابناءه الذين تركهم وراءه هنا على الأرض (ف ٣٨).

• من ينكر الإبن ينكر الآب أيضًا (ف ٤٠). أما إن سرنا على مثال المسيح وقدمنا حياتنا لحساب ملكوت الله، فستكون تعزيته معنا (ف ٤١-٤٢). لذلك يطالب المسيحيين بالاستعداد للاستشهاد (ف ٤٣-٤٤).

• يعالج الفصلان ٤٥، ٤٦ موضوعًا جانبيًا، وهو كرامة الشيطان والاسم الذي به نبتهل لله كما يلخص الجزء الأخير من المقال الحث والنصح على المثابرة والشجاعة، والتأكيد على واجب كل مسيحي لاجتياز التجربة في أوقات الاضطهاد (ف ٤٧-٤٩).

الاستشهاد عند أوريجينوس والقديس اكليمنضس

يهاجم القديس اكليمنضس الذين يثيرون الحكام ورجال الدولة والجند بتهوّر، سعيًا وراء الاضطهاد. ويوضح أن المسيحي الحق لا يهاب الموت، لكن لا يحق له أن يطلبه بتعجل. فيحسب ذلك نوعًا من الانتحار ضد إرادة الله[١٢]، إنه بهذا يتشبه بنساك الهند الذين يلقون بأنفسهم في النار[١٣]. الاستشهاد بالنسبة للقديس اكليمنضس، هو اختبار يومي، وشهادة حسنة للمسيح، بالكلام والعمل وبكامل حياة الإنسان المسيحي[١٤].

أما أوريجينوس، فهو بخلاف القديس اكليمنضس، يطالب المؤمنين بالسعي نحو الاستشهاد، بصفته فرصة ثمينة للنفس للحصول على الحرية، وللكنيسة للحصول على المجد. اشتهى أوريجينوس الاستشهاد على الدوام، وأوضح باستمرار في مقاله **"الحث على الاستشهاد"**، وفي عظاته، مدى التقدير الذي يكنه لهذه الشهادة المتوجة لانتمائنا للمسيح، إلا أنه كان بعيدًا عن التطرف بخصوص ذلك.

الاستشهاد عند أوريجينوس والعلامة ترتليان

رفض ترتليان، عندما اتبع المونتانيين *Montanist*، في مؤلفه *De Fuga*، أي نوع من الهروب من الاضطهاد. ولكن ذاك السكندري، في مؤلفه **"عظات على إنجيل يوحنا"**[١٥]، لم يقتصر على إدانة من يستخدم العنف للاستشهاد، بل ويجعل من واجب المسيحي تجنب المواجهة مع السلطات، إن أمكن ذلك بغير إنكار للإيمان، وبغرض المحبة التي من واجب المسيحي أن يظهرها لأعداء إيمانه، فتعصمهم من اقتراف

جريمة[١٦].

يشترك أوريجينوس وترتليان في حث المؤمنين على الاستشهاد، ولكن لكل منها وجهة نظره. يرى الأب Gregory Dix أن ترتليان يركز على قيامة الجسد ونجاته من العقاب الأبدي، بينما يركز أوريجينوس على تحرير النفس ونموها، من خلال تعلمها بواسطة اللوغوس، حتى تصير لها القيامة معه. بينما ينظر ترتليان إلى الاستشهاد كوسيلة لتمجيد جسدنا القائم، يراه أوريجينوس كطريقٍ ملوكي، من خلاله يدخل يسوع المسيح، اللوغوس ومعلم النفس، معها إلى حضن الآب، حيث يكشف لها عن الأسرار الإلهية. فبالنسبة لأوريجينوس، الكشف عن الأسرار، أو التوصل إلى المعرفة الحقيقية بالله، هو المجد الأبدي الحق للنفس، التي تصبح في صحبة مع الآب السماوي. يقول أوريجينوس:

✞عندئذ كأصدقاء تعرفون الآب والمعلم السماويِ، إذ لم يسبق لكم معرفته وجهًا لوجه (راجع ١ كو ١٣:١٢). فلا يتعلم الأصدقاء بالأحاجي، وإنما بما يمكن رؤيته، أو بالحكمة المجردة من الكلمات والرموز والأنماط. سيكون ذلك ممكنًا، عند التوصل إلى طبيعة الأمور المدركة، وإلى جمال الحقيقة.

فإن كنتم تصدقون أن بولس قد أُختطف إلى السماء الثالثة، وإلى الفردوس، حيث "سمع كلمات لا يُنطق بها، ولا يسوغ لإنسانٍ أن يتكلم عنها" ٢ كو ١٢:٢، ٤، فسوف تتيقنوا بالتالي أنكم ستتعرفون على أمورٍ أكثر وأعظم مما كُشف لبولس، والتي هبط بعدها من السماء الثالثة. أما أنتم فلن تهبطوا، إذا ما حملتم الصليب وتبعتم يسوع، رئيس كهنتنا، الذي اجتاز السموات (عب ٤:١٤). إن كنتم لا ترتدون عن اتباعه، فإنكم تجتازون السموات، مرتفعين، لا فوق الأرض وأسرارها فحسب، بل وفوق السموات وأسرارها أيضًا"[١٧].

اشتياق أوريجينوس للاستشهاد

يبدو أن الاستشهاد في نظر أوريجينوس هو وسيلة لبلوغ النقاوة الكاملة، التي تعجز حتى القداسة الشخصية عن إعطائها. إنه الإعداد النهائي للحق في الوقوف عند

المذبح السماوي. كانت هذه هي صورة الاستشهاد، التي أراد لكل مسيحي أن يحققها. كان دائم القول بان الكنيسة بدون شهداء مهجورة ومقفرة كأورشليم بغير ذبائح تُقدم في الهيكل[١٨].

مفاهيم الاستشهاد

١. يعتقد أوريجينوس أن **المسيح بذاته، رب الشهداء، هو الشهيد الحقيقي الذي يعمل في حياة المؤمنين به.** فقد عايش عهودًا عديدة من الاضطهاد، وأعلن أن المسيح، يسمح بالآلام للشهيد، إذ هو يتألم في شهدائه. ويمنح الشهيد النصرة، ويُلبسه الإكليل، ويقبل ذلك الإكليل في ذاته[١٩]. ويدرك أن الإخلاص المطلق الذي للشهيد المسيحي يحمل في ذاته قوة إقناع قادرة أن تأتي بالوثنيين إلى رؤية الحق[٢٠].

٢. الاستشهاد، **هو مهمة كل مسيحي حقيقي** يتوق إلى الاتحاد مع اللّه، والجهاد في سبيل برّه.

✞ التمس منكم أن تتذكروا في غمرة نضالكم الزمني، المكافأة العظيمة المُعدة في السماء للمضطهدين والذين يُعيرون من أجل البر. وأن تبتهجوا وتثبوا فرحًا من أجل ابن الإنسان (راجع مت ٥: ١٠-١٢، لو ٦: ٢٣)، كما فعل الرسل، إذ حُسبوا مستأهلين أن يُهانوا من أجل اسمه (إعمال ٥: ٤١). فإن حدث وشعرت بأن نفسك توشك على التقهقر، فلتجعل "الفكر الذي فينا، في المسيح" (في ٢: ٥) يخاطبها: "لماذا أنت منحنية يا نفسي؟! ولماذا تئنين فيّ؟ ترجي اللّه لأني بعد أحمده" مز (٤٢: ١١)...

أصلي إلى اللّه، أن لا تئن أنفسنا أبدًا. بل وأكثر من ذلك ونحن نواجه المحاكمات والسيوف المسلة فوق أعناقنا، أن يملأها السلام الذي يفوق كل عقل (في ٤: ٧)، ويسبغ عليها الهدوء، عندما يُعتبر "المتغربون عن الجسد، مستوطنين عند الرب" (راجع ٢ كو ٥: ٨) [٢١].

✞ إني أعتقد كما أن "من التصق بزانية هو جسد واحد معها" (١ كو ٦: ١٦)، كذلك

من يعترف بإله ما، خاصة حين يُمتحن في إيمانه، يختلط بالإله الذي يعترف به ويتحد معه. فإن أنكره يكون إنكاره سيفًا يقطعه من ذاك الذي أنكره، فيعاني من البتر، إذ فصل نفسه عمن أنكره"[22].

الشهداء هم أحباء اللّه، الذين يعبرون عن حبهم له بالتضحية عن كل لذة أرضية لحساب سكناهم مع اللّه في مجده، يضحون حتى بحياتهم الزمنية. وتعطينا السطور الافتتاحية لمقاله "**الحث على الاستشهاد**" صدى للمجد الذي ارتفع إليه عقله وقلبه في أيام الاستشهاد.

٣. الاستشهاد ضروري لخلاصنا. **هو شركة مع المسيح في صلبه،** وممارسة للحياة الإنجيلية.

- **من بين عهودنا مع اللّه، المواطنة الشاملة للإنجيل (يصير الإنجيل وطننا، نخضع لقوانينه)، الذي يقول: "إن أراد أحد أن يأتي ورائي، فلينكر نفسه، ويحمل صليبه ويتبعني. فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها، ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها" (مت ١٦: ٢٤-٢٥). فكثيرًا ما توقظنا الكلمات: "لأنه ماذا ينتفع الإنسان، لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟! أو ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه؟! فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته، وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله" (مت ١٦: ٢٦-٢٧)...**

- **كان الأجدر بنا، منذ زمن طويل، أن ننكر ذواتنا، ونقول: "لا أحيا أنا، بل المسيح يحيا فيّ" (غلا ٢: ٢٠). لنرى الآن، إن كنا قد حملنا صلباننا وتبعنا يسوع؛ هذا يحدث إذا كان المسيح يحيا فينا. فإن أردنا خلاص أنفسنا من أجل العودة بها إلى ما هو أفضل دعنا نضيعها باستشهادنا..."[23]**

٤. يحتمل المسيحيون الحقيقيون الاضطهاد من أجل المسيح، **كعلامة على حبهم الصادق له.** إنهم يستجيبون لحبه بحبهم العملي.

- **يمكننا أيضًا أن نتعلم من ذلك، ماذا يعني الاستشهاد، وكيف يؤدي إلى الثقة**

القوية بالله. حيث يتصف القديس بالكرم، ويرغب في رد ما غمره الله به من بركات، يفتش عما يمكن عمله لله مقابل كل منحة، فلا يجد ما يوازن هذه الخيرات، أكثر من كمال الاستشهاد"[٢٤].

٥. الاستشهاد هو موت ثمين يُمنح للمختارين بواسطة مخلصنا.

✠ من الواضح أن "كأس الخلاص" الذي جاء ذكره في المزامير، هو موت الشهداء. من أجل ذلك، فالفقرة التي تقول: "كأس الخلاص آخذ، وباسم الرب أدعو"، قد تبعها، "عزيز في عيني الرب موت أتقيائه" (مز ١١٦: ١٣، ١٥). فسيأتينا الموت "الثمين" إن كنا أتقياء الرب، ومستحقين للموت، لا الموت العام، إن أمكنني تسميته كذلك، بل لنوعٍ خاص من الموت، هو موت مسيحي وتقوي ومقدس"[٢٥].

٦. بالاستشهاد نصير اخوة للرسل، ومحصيين معهم.

✠ الحث على الاستشهاد ـ المذكور في متى، لم يوجه إلا إلى "الإثني عشر"، يجدر بنا نحن أيضًا أن نسمعه، إذ نصير بسماعه اخوة للرسل ونُعد معهم. جاء ذلك في الفقرة: "لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها، بل خافوا بالحري من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم (مت ١٠: ٢٨)...

لتلاحظوا أن هذه الوصية لم تُعط لخدام يسوع بل لأحبائه (راجع يو ١٥: ١٥)، "ولكن أقول لكم يا أحبائي، لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد، وبعد ذلك ليس لهم ما يفعلون أكثر" (لو ١٢: ٤)"[٢٦].

٧. الاستشهاد هو طريق المجد الأبدي.

✠ من يمكنه التأمل في هذه الاعتبارات ولا يطلق الصيحة الرسولية: "آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا" (رو ٨: ١٨). كيف لا يسمو الاعتراف أمام الآب على الاعتراف أمام الناس؟ وكيف لا يفوق الاعتراف الذي

ينطق به ذاك الذي في السماء، إلى أقصى درجة، على اعتراف الشهداء على الأرض بابن الله"[٢٧]؟

✞ خاطب الله إبراهيم يومًا قائلاً: "اذهب من أرضك". ربما نسمعه نحن أيضًا في القريب يخاطبنا قائلاً: "اذهبوا من كل أرض". إننا نفعل حسنًا إن أطعناه، فيصير لنا أن نعاين الموضع المدعو "ملكوت السموات"[٢٨].

٨. الاستشهاد هو **"معمودية دم"** ومنبع لمغفرة الخطايا. أشار إلى الفكرة القائلة بأن خطايا الإنسان يمكن غسلها بمعمودية الدم[٢٩]. وفضيلة موت الشهيد، لا تقتصر في فاعليتها على التكفير عن الشهيد وحده، بل تمتد إلى كثيرين[٣٠].

✞ ليتذكر كل واحدٍ منا كم من مرات تعرضنا فيها لخطر الموت العادي، عندئذ نسأل أنفسنا عما إذا كنا قد حُفظنا لما هو أفضل؛ حُفظنا لمعمودية الدم التي تغسل خطايانا، وتسمح لنا أن نحتل مكاننا في المنبح السماوي مع رفاقنا في الجهاد الروحي[٣١].

٩. في مقاله **"الحث على الاستشهاد"** يقول أوريجينوس ان بالاستشهاد يمكن للمؤمن أن يقدم ذاته، ككاهنٍ حقيقيٍ، وذبيحة لله. **"كما فدانا يسوع بدمه الثمين، يمكن بالدم الثمين للشهيد أن ينقذ آخرين. الاستشهاد "عمل ذهبي" و"كأس الخلاص".** فالشهيد يقدم ذاته لله كذبيحة، وككاهن، في اتحاد مع ذبيحة المسيح. ويقدم إضافة إلي ذاته، كل ما له على الأرض، من ثروة وعائلة وأولاد[٣٢].

١٠. اعتقد المسيحيون الأوائل، أن المسيح إذ غلب الموت بالصليب، حطم بذلك اكثر أسلحة إبليس تأثيرًا، أي رهبة الموت[٣٣]. يرى أوريجينوس أن الشهيد **ينضم إلى المسيح في حربه ضد الشيطان وقواته**[٣٤]. فكرة الإقتداء بالمسيح بالحقيقة تسود الكتابات المسيحية عن الاستشهاد كفكرة مستقرة[٣٥].

الشهيد مصارع، واستشهاده هو معركة تجرى في حلبة مع قوى شيطانية، تحاول دفعه إلى تقديم القرابين للأوثان، حتى تستعيد بهزيمته سلطانها. ويحيط به في

نفس الوقت شهود سمائيون، ينتظرون انتصاره على الرئاسات والقوات في عالم الشياطين. هذه المعركة هي اختبار، يكشف عما إذا كان المسيحي قد بنى بيته على الصخر أم فوق الرمال؛ إن كانت بذور الكلمة فيه قد سقطت على أرض جيدة، أم على أرض حجرية، حيث لا يمكن لها أن تمتد جذورها[36].

يُعتبر الشهيد على وجه الخصوص كمكملٍ لما سبق للمسيح أن أنجزه إذ صار سيدًا على الموت وإبليس، وأعطي الجنس البشرى حريته. "**فهو مع المسيح يجرد الرئاسات والقوات، وينتصر معه لأنه يشاركه آلامه وما تبعثه من انتصارات**[37]". هذا هو ما يسحق سلطان الشيطان[38]. الأرواح الشريرة تعلم جيدًا ما يأتي به الاستشهاد ومن بركات للمسيحيين، لذلك يخشونه إلى درجة تدفعهم إلى الجهاد من أجل تخفيف حدة الاضطهاد[39].

- **هكذا يفهم بطريقة غامضة لا يدركها أغلب الناس، إمكانية أن يكون في موت الشخص البار بإرادته، من أجل الجميع، على سبيل الكفّارة، ما يجنب الناس شر الشياطين التي تجلب الوباء والمجاعات وعواصف البحر الخ.**[40]

- **لا بد لنا أن نعتبر دم الشهداء القديسين، محررًا لنا من القوى المؤذية. على سبيل المثال، صلابتهم وتحمّلهم، واعترافهم حتى الموت، وحماسهم للدين، يتلم حدة المؤامرات التي تحيكها القوات الشريرة ضد الإنسان في عذاباته... هذا هو نوع الخدمة التي يقدمها موت الشهداء الأتقياء. فالعديد من الناس، تدركهم منافع من موتهم، بفاعلية تفوق الوصف**[41].

مما هو جدير بالملاحظة أن أوريجينوس في مقاله "**الحث على الاستشهاد**" لم يذكر مثلاً واحدًا للفلاسفة الذين قاسوا الاضطهادات ولاقوا الموت بشجاعة في سبيل معتقداتهم، كما فعل القديس اكليمنضس. لكنه يعطى أمثلة من العهدين القديم والجديد، رغبة منه في الإعلان عن الصلة بين الاستشهاد وذبيحة الصليب.

١١. الاستشهاد، بالنسبة لأوريجينوس، هو الاختبار النهائي لاستعداد

المسيحي لتفضيل الروحيات عن الجسديات.

✠ أعتقد أنهم يحبون اللّه بكل أنفسهم. ومن فرط رغبتهم في أن يصيروا في اتحاد معه، ينسحبون وينفصلون بأنفسهم، لا عن الجسد الترابي فقط، بل وأيضًا عن كل الأمور المادية التي يمكن أن تبعدهم عن اللّه. مثل هؤلاء، يقبلون أن يضعوا جسد تواضعهم، بغير حزن أو تأثر، عندما يأتي الوقت ليخلعوا جسد الموت، والذي يُنظر إليه بوجه عام على أنه الموت.

١٢. بالنسبة لأوريجينوس، أفضل الذبائح العقلية، هي الاستشهاد، ثم البتولية، فالابتعاد عن الكبرياء والجشع والكذب الخ[٤٢].

١٣. في تعليقه على سفر المزامير، كتب أنه من واجبنا تقديم ذبيحة إنكار حكمتنا الذاتية، فهذا نوع من الاستشهاد.

✠ في داخل كل منا عقلانية، يلزم القضاء عليها، بقصد تحويلها إلى ذبيحة للّه[٤٣].

الاستشهاد والكرازة بالإنجيل

✠ بنفس الطريقة يدلي الشهداء بشهادتهم أمام غير المؤمنين، هكذا يفعل كل القديسين الذين تتألق أعمالهم أمام الناس، ويمضون حياتهم فرحين بصليب المسيح، ويحملون شهادة للنور الحقيقي[٤٤].

يشجع الشهداء المؤمنين والموعوظين على الشهادة للمسيح بدون خوف.

✠ إذ عاد المسيحيون من المقابر بعد أن حملوا أجساد الشهداء القديسين إلى مدافنهم، اجتمعوا في الكنيسة للصلاة وكانت تظهر عليهم علامات القداسة. كان الجسد المسيحي (المؤمنون) كله هناك، ولم يبدو الخوف على أيا منهم. هناك كان الموعوظون يتعلمون الدرس العملي، باستماعهم إلى تقارير عما قاله الشهداء القديسون لقضاتهم، وثباتهم في اعترافهم بإيمانهم حتى لحظة موتهم. إني أعرف رجالاً ونساءً مسيحيين ممن شهدوا أمورًا غريبة حدثت في تلك الاجتماعات تصل إلى معجزات حقيقية[٤٥].

مكافأة الاستشهاد

١. يحمل الشهيد صليبه مع المسيح، جاحدًا حياته لكي يحيا المسيح فيه. إنه يتبع المسيح في آلامه، ثم في مجده، وهو جالس عن يمين الآب. فالشركة في الآلام تقود إلى شركة في النصرة[٤٦]. مكافأته هي أن يتحد مع المسيح أبديًا ويتمجد معه[٤٧]. مكافأة الاستشهاد، كما يعتقد جميع المسيحيين، هي فرح لا يُنطق به، أما بالنسبة لأوريجينوس، فهو فرح عقلي متميز.

✞ **لكلٍ من أعضائنا قدرة معينة تناسب طبيعته. فالأعين تعاين الأمور المرئية، والآذان تسمع الأصوات، هكذا الذهن يختص بالأمور المدركة وبالله الذي يسمو فوقه. فلماذا نتردد إذًا ونشك في خلع الأجساد القابلة للفساد التي تعوق أنفسنا وتثقلها؟... حيث نستمتع مع يسوع المسيح بالراحة التي تصاحب الطوباوية، ونتأمل في الكلمة الحيّ، في كماله، وذلك عندما نتغذى به، وندرك حكمته الشاملة، وتستنير أذهاننا بنور المعرفة الحقيقي الذي لا ينطفئ[٤٨].**

✞ **هذا يقودنا إلى الإيمان بأن موت الشهداء القديسين يهزم قوى الشر. كما لو أن صبرهم واعترافهم حتى الموت وحماسهم للتقوى يتلم حدة هجمات القوى الشريرة ضد المتألمين. ونتيجة لما أصاب العدو من تبلد وإجهاد في القوي، يرفع كثير ممن انهزموا منهم رؤوسهم، متحررين من ثقل قوى الشر التي سبق أن سقطوا تحتها وأصابتهم أذية[٤٩].**

✞ **علينا افتراض فاعلية موت الشهداء القديسين، إذ به ينتفع الكثيرون بما يفوق الوصف[٥٠].**

٢. ينظر أوريجينوس إلى الاستشهاد بصفته نصيب المسيحي المفرح. يقول: **"إننا لا نُضطهد إلا إذا سمح الله للمجرب وأعطاه السلطان لاضطهادنا. فإذا كانت إرادته أن نواصل الصراع والجهاد من أجل ديننا، نقول: "أستطيع كل شيء في المسيح يسوع ربنا الذي يقويني"[٥١].**

٣. يكرر أوريجينوس قوله ان اللّه لا يدين الشهداء، بل بالأحرى يجلسون معه في الدينونة[٥٢].

♰ يدعو الاستشهاد كأسًا كما يتضح من الكلمات: "أيها الآب، إذا أمكن أن تعبر عني هذه الكأس، ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك". مرة أخرى نتعلم أن الذي يشرب من الكأس التي شربها يسوع، يجلس بجانب ملك الملوك ويحكم ويدين[٥٣].

٤. حيث أن الشهداء هم ذبائح تقدمها الكنيسة، لذلك نحصل من خلال شفاعتهم على غفران الخطايا[٥٤]. فذبائح الكنيسة ترتبط بالذبيحة الفريدة التي للسيد المسيح. لقد قدموا حياتهم ذبيحة حب، تمتد فاعليتها حتى إلى الآخرين "**بمثل هذه الطريقة، علينا افتراض فاعلية موت الشهداء القديسين، خلاله ينتفع الكثيرون بما يفوق الوصف**".

يقول Frances M. Young:

الفكرة القائلة بأن ذبيحة الشهيد ذات صفة كفارية لم تختفِ تمامًا، وهي على صلة وثيقة بموت المسيح الفائق الفاعلية، الذي كفّر عن خطايا العالم كله.

في الحقيقة، ربما يكون التقليد اليهودي الخاص بالاستشهاد قد قدم أقدم وسائل تفسير لموت المسيح. غير أنه مع الاعتبار أن موت المسيح على الصليب هو الذبيحة الواحدة الوحيدة عن خطايا العالم بأسره، لذلك يصعب تبرير هذا الإصرار على فكرة (كفارة) الاستشهاد المسيحي، إلا بافتراض أن هذه العقيدة قد دخلت الفكر المسيحي بطريقة مستقلة. فمشكلة الحصول على مغفرة الخطايا التي تعقب العماد، لابد وأنها قد أكدت استمرارية فكرة إمكانية غسل خطايا الإنسان عن طريق معمودية الدم.

فاعلية موت الشهيد تُعتبر أنها غير قاصرة على التكفير عن خطايا صاحبها، بل تمتد أيضًا إلى كثيرين[٥٥].

♰ لنتذكر خطايانا، وأنه من المستحيل أن نحصل على الغفران بدون المعمودية (راجع أع ٢:٣٨). وأنه بحسب وصايا الإنجيل، لا يمكن للمرء أن يعتمد مرة

أخرى بالماء والروح لمغفرة الخطايا، فليس أمامه إذًا إلا معمودية الدم بالاستشهاد...

من واجبكم أيضًا أن تعتبروا أنه كما أن معمودية استشهاد المخلص تطهر العالم من آثامه، هكذا يكون لمعمودية دمنا فعلها في شفاء العديدين بمثل هذا التطهير.

وكما أن الذين كانوا يخدمون المذبح الذي فرضه الناموس الموسوي، قد افتُرض أنهم مفوضون في الحصول على مغفرة الخطايا للشعب، من خلال دم الماعز والثيران، هكذا أنفس الذين "قُتلوا من أجل الشهادة ليسوع" (رؤ ٢٠:٤)، لا تخدم عبثًا عند المذبح السماوي، بل يحصلون لمن يصلون من أجلهم على مغفرة خطاياهم.

نتعلم أيضًا أنه كما أن يسوع المسيح، الكاهن الأعظم، قدّم ذاته ذبيحة، كذلك يقدم الكهنة ذواتهم ذبائح (عب ٥، ٧، ٨، ١٠). لهذا يُرون في موقعهم الصحيح عند المذبح. لكن، بينما كان بعض الكهنة بلا عيب، وقدموا في خدمتهم الإلهية ذبائح بلا عيب، كان آخرون منهم مملوئين عيوبًا أوردها موسى في سفر اللاويين (١٧:٢١ الخ)، مما أدى إلى استبعادهم عن المذبح. فمن هو إذًا الكاهن الذي بلا عيب، إذا لم يكن ذاك الذي اعترف حتى النهاية، وتوافر فيه كل ما نعنيه بالاستشهاد[٥٦].

حلبة الصراع

في تعليق لأوريجينوس على سقوط أسوار أريحا (يش ٩)، يقول:

✞ لنذهب إلى الحرب لمهاجمة أكثر مدن العالم خطورة، أعني الشر.

لنُسقط أسوار الخطية المتشامخة...

المعركة التي أنت متورط فيها هي بداخلك، فهناك بناء الشر الذي يلزم تدميره.

ليُطرد عدوك خارجًا من أعماق قلبك[٥٧]!

إماتة الجسد والاستشهاد

الإماتة والاستشهاد هما شيء واحد بعينه. فإن أخفق الإنسان المسيحي في تدريب ذاته على اعتبار الحياة الإنسانية ككل أنها اختبار يحتاج منه إلى حشد كل أرصدته من الشجاعة، فسيجد نفسه معرضًا لخطر الارتداد في ساعة التجربة[٥٨].

تحقق أوريجينوس أن "**المحرقة**" في العهد القديم، كانت تعني أسمى تقدمة "للتسبيح"، وليست تقدمة "**استرضاء**"، كما كانت في الديانة الإغريقية. لذلك فقد تضمنت معالجته للمحرقة المسيحية الفكرة ذاتها. فمحرقة المسيحي هي "نفسه"، التي يبقيها مشتعلة علىالمذبح بتخليه عن مقتنياته، وحمل صليبه، وتبعيته المسيح بتقديم جسده ليحترق، وتبعيته لمجد الشهيد، بمحبته لاخوته، وبالجهاد من أجل الحق والعدل، حتى بصلب العالم له، وهو للعالم[٥٩].

الاستشهاد ذبيحة "إبعاد للشياطين"

يقول Frances M. Young:

لابد من النظر إلى ذبيحة الشهداء في نفس سياق هذه الصورة الثنائية (ذبيحة حب للّه، ونصرة على الشياطين). ليس في الأمر ما يدعو للدهشة، إن وجدنا أن موت الشهيد الأعظم، المسيح، يُفسر كذبيحة تُستخدم وسيلة (لإبعاد) الشياطين الشريرة...

وفي "**الحث على الاستشهاد**" لأوريجينوس تأكيد لذات الفكرة، فلا نستغرب اعتباره الذبيحة هي التعليل الرئيسي لفكرة "الإبعاد"، كوسيلة لفهم الموت الكفاري للمسيح.

يحث أوريجينوس قارئيه على الصمود في الحرب ضد الشياطين، في إصرار على إن عبادة الأوثان هي البديل الوحيد للاستشهاد.

إنه يشرح أن من مكافآت الاستشهاد، التوصل إلى أن الإنسان لا يخطئ والتمتع بالنعيم السماوي. لكنه يصف كذلك القيمة الكفارية لذبيحة الشهيد، واضعًا أمامه فرحه بشركته في آلام المسيح والاقتداء به.

عمل الشهيد في المسيح هو تجريد الرئاسات والقوات، والانتصار معه، بشركته في آلامه، وفي الأعمال العظيمة التي حققتها هذه الآلام. وكما أُقتينا بالدم الثمين ليسوع... يُفتدي البعض بالدم الثمين للشهداء. ذبيحة الشهيد إذًا مناظرة تمامًا لذبيحة المسيح، وتفسر بأنها من نفس نوعها. فبالنسبة لأوريجينوس، هي ذبيحة تُقدم كفدية لإبعاد سلطان الشر، كجزء من الحرب ضد الشيطان، التي سبق وأحرز المسيح فيها بذبيحته الذاتية الإرادية، في مواجهته للخطية وشر العالم[٦٠].

[واضح أن العلامة أوريجينوس قد بالغ جدًا في نظرته لذبيحة الشهيد، لأنه مع عدم تجاهلنا لقيمتها في عينيْ المخلص، لن تحمل شفاعة كفارية!]

---

3 Charles Bigg: The Chnstian Platonists of Alexandria, Oxford 1913, p 153.

4 In Jer. hom. 4:3.

5 Ongen: Prayer, Exhortation To Martyrdom, Translated and Annotated by John J. O'Meara (ACW); Quasten, vol. 3,p. 69ff.

6 Maximin was proclaimed emperor at Mainz in 235 A.D. He remained in Germany till winter of that year.

7 Ongen: Prayer, Exhortation To Martyrdom, Translated and Annotated by John J. O'Meara (ACW),p. 11-12.

8 Robert Payne: Fathers Of The Eastern Church, Dorset Press, New York, 1985, P. 63-4.

9 De Martyr., 39.

10 De Martyr, 43.

11 Robert Payne: Fathers Of The Eastern Church, Dorset Press, New York, 1985, P. 65.

12 Strom. 4:10·76,77.

13 Ibid., 4:14:17,18.

14 Stromata 4:14; 2:104.

15 28:23 (18)

16 Henri Crouzel: Ongen, Harper & Row, 1989, p. 53.

17 An Exhortation to Martyrdom, 13.

18 R. Cadiou: Ongen, Herder, 1944, p. 16

19 In Ioan, hom. 14;17.

20 Rowan A Greer: Ongen, Paulist Press, 1979, page 5.

21 An Exhortation to Martyrdom,, 4

22 Ibid, 8.

23 Ibid., 12.

24 Ibid., 28.

25 Ibid., 29.

26 Ibid., 34.

27 Ibid., 35.

28 De Martyr., 51.

29 Exhort. Mart. 30.

30 Exhort. Mart. 30.

31 Ibid., 39

32 Henri Crouzel: Ongen, San Francisco 1989.

33 J. W Trigg: Ongen, p. 20.

34 Exhort. Mart. 42

35 St. Gregory of Nyssa: PG 46·781; St Gregory Nazianzen: De Oratione 4:67-71; 5:6,24ff.; Frances M. Young: The Use of Sacrificial Ideas in Greek Christian Writers from the New Testament to John Chrysostom, Philadelphia 1979, p. 110.

36 Henri Crouzel. Ongen, San Francisco 1989.

37 Exhort Mart. 41.

38 Comm. on John 6:54.

---

39 Contra Celsus 8:44; Jean Daniélou: Origen, p. 273..

40 Contra Celsus 1:31.

41 Comm. on John 6:53 on 1:29.

42 Comm. on Rom. 9:1; Frances M. Young: The Use of Sacrificial Ideas in Greek Christian Writers from the New Testament to John Chrysostom, Philadelphia 1979, p.

43 In Ps., 2; PG 12:1109.

44 Comm. on John 2:28; PG 14:89..

45 In Jer. hom. 4; R. Cadiou: Origen, Herder, 1944, p. 17.

46 Henri Crouzel: Origen, San Francisco 1989.

47 Henri Crouzel: Origen, San Francisco 1989.

48 In Jos. hom. 8:2; J.W. Trigg: Origen, SCM, p.164.

49 Comm. on John, book 6:36

50 Comm. on John, book 6:36.

51 Contra Celsus 8:70.

52 Cf. Hippolytus, In dan. 2.37; Tertullian, De res. carn. 43; Cyprian, Ad Fort. 13; Eusebius, H. E. 6.42.5 (quoting Dionysius of Alexandria); etc., Cf. J.P. Kirsch, The Doctrine of the Communion of Saints in the Ancient Church (London 1910) 82.

53 Exhortation to Martyrdom, 28 (ACW).

54 R. Cadiou: Origen, Herder, 1944, p. 16.

55 Frances M. Young: The Use of Sacrificial Ideas in Greek Christian Writers from the New Testament to John Chrysostom, Philadelphia 1979, p. 110.

56 Martyrdom 30.

57 In Jos. hom 5:5.

58 R. Cadiou: Origen, Herder, 1944, p. 16.

59 In Lev. hom. 9 9; Frances M. Young: The Use of Sacrificial Ideas in Greek Christian Writers from the New Testament to John Chrysostom, Philadelphia 1979, p. 131.

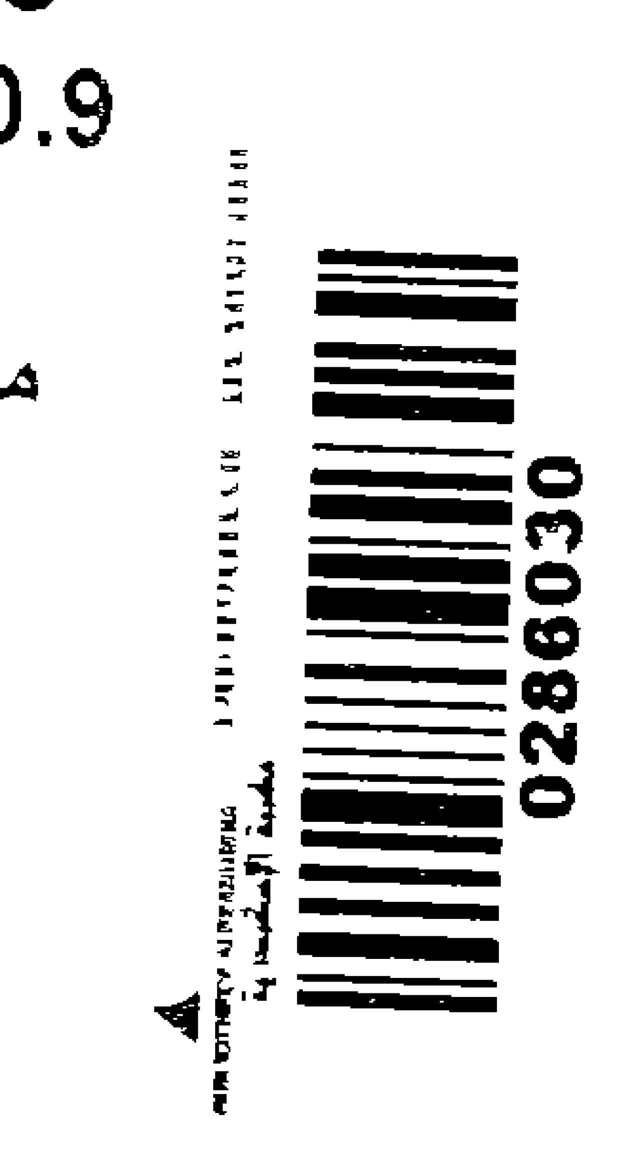
60 Frances M. Young: The Use of Sacrificial Ideas in Greek Christian Writers from the New Testament to John Chrysostom, Philadelphia 1979, p. 228-229.

يطلب من :

كنيسة مارجرجس اسبورتنج - الإبراهيمية - الأسكندرية .

كنيسة مارمرقس والانبا بطرس - سيدى بشر - الأسكندرية .

مكتبة مارمرقس بالأنبا رويس .



الثمن ٤٠ قرشاً